# قتيبة بن مسلم

## أعـــلام القـــادة

obeikandl.com

obeikandl.com

## القائد قتيبة بن مسلم

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص: أمير، فاتح، من مفاخر العرب.

كان أبوه كبير القدر عند يزيد بن معاوية. ونشأ هو في الدولة المروانية. فولي الري في أيام عبد الملك ابن مروان، وخراسان في أيام ابنه الوليد. ووثب لغزو ما وراء النهر، فتوغل فيها.

وافتتح كثيرا من المدائن، كخوارزم، وسجستان، وسمرقند. وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية.وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها. واشتهرت فتوحاته، فاستمر ولايته ثلاث عشرة سنة، وهو عظيم المكانة مرهوب الجانب. ومات الوليد،واستخلف سليمان بن عبد الملك، وكان هذا يكره قتيبة، فأراد قتيبة الاستقلال بما في يده، وجاهر بنزع الطاعة. واختلف عليه قادة جيشه، فقتله وكيع ابن حسان التميمي، بفرغانة. وكان مع بطولته دمث الاخلاق، داهية، طويل الروية، راوية للشعر عالما به. قال أحد الاعاجم بعد مقتله: يا معشر العرب قتلتم قتيبة، ووالله لو كان فينا لجعلناه في تابوت واستفتحنا به غزونا. وقال المرزباني: وأهل البصرة يفخرون به وبولده.

كان أحد الأبطال والشجعان، ومن ذوي الحزم والدهاء والرأي والغَنَاء، وهو الذي فتح خوارزم وبخارى وسمرقند وكانوا قد نقضوا وارتُّدوا. ثم أنه افتتح فرغانه، وبلاد الترك في سنة ٩٥هـ، ولي خراسان عشر سنين وله رواية عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، ولم ينال قتيبة أعلى الرتب بالنسب، بل بكمال الحزم والعزم والإقدام، والسَّعد، وكثرة الفتوحات ووفور الهيبة.

كان قتيبة ومن معه من الفاتحين يحرصون على دعوة الناس للإسلام، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، فكان قتيبة يهتم ببناء المساجد في المدن والقرى والأرياف ويصنع فيها العلماء والفقهاء لتربية الناس وتعليمهم الإسلام، وقام بتسكين المسلمين بين السكان الأصليين، ليطلعوا على تعاليم الإسلام وعادات المسلمين واخلاقهم عن طريق الاحتكاك بهم، مثل ما حدث مع أهل بخارى فأظهر الإسلام بهذه الطريقة، وأزال آثار الكفر ورسم المجوسية وبني ببخارى المسجد الجامع وأمر المسلمين باداء صلاة الجمعة فيه، ومن اساليب قتيبة في ترغيب الناس في الدخول في الإسلام، كان يأمر بمنادٍ كل يوم يقول: بأن كل من يأتي لصلاة الجمعة يعطى درهمين، ويعد هذا العمل طريقة جديدة في ذلك العهد في تأليف قلوب الناس للإسلام والحفاظ على الذين اعتنقوه.

وكان في جيشه مجموعة من العلماء، كمحمد بن واسع، والقاضي يحيى بن يعمر والضحاك بن مزاحم صاحب التفسير فقد ساهم أمثال هؤلاء في نشر الإسلام.

وكان محمد بن واسع ينافس قتيبة في بناء المساجد وقد صاحب عمليه انتشار الإسلام بين سكان ما وراء النهر سرعة تعلمهم اللغة العربية، حيث كان قتيبة يصدر أوامره ببناء المساجد ولم تكن تقتصر على إقامة شعائر الصلاة فقط وإنما فيها حلقات الدرس في تعليم القران الكريم والأحاديث النبوية الشريعة، وكان للمسجد والعلماء الذين أشرفوا عليها دور عظيم في تعليم السكان اللغة العربية.

وقد قال ابن كثير عن قتيبة: إنه ما انكسرت له راية وكان من المجاهدين في سبيل الله واجتمع له من العسكر ما لم يجتمع لغيره. وكان من نتائج الجهود التي بذلها قتيبة في نشر الإسلام، أن أصبحت

بخارى وسمرقند وإقليم خوارزم مراكز للثقافة العربية ونشر الإسلام في آسيا الوسطى، كما كانت مرو ونيسابور في خراسان، ومنها أيضاً دخول كثير من أهلي ما وراء النهر في دين الله أفواجا، فظهر بينهم عدد من الكتاب والمحدثين والفقهاء والمؤرخين، ممن لا يزال ذكرهم خالد، وآثارهم عظيمة في تاريخ الإسلام(١).

وقد مدحه الشعراء فقال نهار بن توسعة يذكر انتصار قتيبة على الاتراك:

أراك الله في الأتـــراك حكمـــاً ::: كحكـــم في قريظـــة والـــنفير
قضاء مـــن قتيبـــة غـــير جـــور ::: به يُشفي الغليـــلُ مـــن الصـــدور

وقال كعب الأشقري يمدح قيادة قتيبة:

كـــل يـــوم يخـــوي قتيبـــة غنمـــاً ::: ويزيـــد الأمـــوال مـــالا جديـــداً
باهليٌ قـــد ألـــبس التـــاج حـــتى ::: شاب منه مفـــارق كـــنّ سُـــودا
دوّخ (السُّغد) بالكتائـــب حـــتى ::: ترك (الصُّـــغد) بـــالعراء قُعـــودا
فوليـــد يبكـــي لفقـــد أبيـــه ::: وأب موجـــع يبكـــي الوليـــدا
كلمـــا حـــلّ بلـــدة أو أتاهـــا ::: تركـــت خيلـــه بهـــا أخـــدودا

انتهت حياة هذا القائد الكبير نهاية حزينة أليمة، فقد مات الخليفة الوليد وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ٩٦ - ٩٩هـ وكانت العلاقة بين سليمان والحجاج ورجاله، ومنهم قتيبة غير حسنة، قيل: لأنهم كانوا وافقوا الوليد على خلع أخيه سليمان، وتولية ابنه عبد العزيز بن الوليد، فخشي قتيبة أن يعزله سليمان، فأرسل إليه رسائل يعزيه في الوليد ويهنئه بالخلافة، ويختبر نواياه نحوه، لكن سليمان لم يعزله، بل أرسل له عهداً بولاية خراسان، مع رسول خاص من عنده، تكريماً له ولكن قتيبة تعجل وخلع طاعة سليمان قبل وصول ذلك

(١) غانم السلطاني، قتيبة بن مسلم الباهلي ص ١٤٠.

العهد، فغضب الناس واستنكروا خلع سليمان وثار الجند على قتيبه فقتلوه، يقول الذهبي: ولما بلغه موت الوليد، نزع الطاعة، فاختلف عليه جيشه، وقام عليه رئيس تميم وكيع بن حسَّان، وألَّب عليه، ثم شَدَّ عليه في عشرة في فرسان تميم فقتلوه في ذي الحجة سنة ستٍّ وتسعين، وعاش ثمانياً وأربعين سنة (١).

وقال ابن كثير في سبب مقتل قتيبة بن مسلم: وذلك أنَّه جمع الجند والجيوش، وعزم على خلع سليمان وترك طاعته وذكر لهم همّته وفتوحه وعدله فيهم ودفعه الأموال الجزيلة إليهم، فلما فرغ من مقالته، لم يجبه أحد منهم إلى مقالته، فشرع في تأنيبهم وذمِّهم قبيلة قبيلة وطائفة طائفة، فغضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرَّقوا، وعملوا على مخالفته وسعوا في مقتله وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له: وكيع بن أبي سُود، فجمع له جموعاً كثيرة، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذى الحجة من هذه السنة، وقتل معه أحد عشر رجلا من إخوته وأبناء إخوته، ولم يبق سوى ضرار بن مسلم وكانت أُمُّه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زُرارة، فحمته أخواله - وعمرو بن مسلم، وكان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح، وبشار، وهؤلاء أبناء مسلم وأربعة من أبنائهم فقتلهم كلهم وكيع بن سُود، وقد كان قتيبة بن مسلم من سادات الأمراء وخيارهم، وكان من القادة النجباء الكبراء، والشجعان وذوي الحروب والفتوحات السعيدة والآراء الحميدة، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يُحصيهم إلا الله فأسلموا ودانوا لله عز وجل، وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئاً كثيراً، كما تقدم ذلك مفصَّلاً مبيَّناً والله سبحانه لا يضيِّعُ سعيه ولا يخيِّبُ تعبه

(١) سير أعلام النبلاء،٤/٤١٠.

وجهاده، ولكن زلَّ زلة كان فيه حتفه وفعل فعلة رغم فيها أنفه، وخلع الطاعة فبادرت إليه المنية، وفارق الجماعة، فمات ميتة جاهلية، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ماقد يكِّفرُ الله بها عنه من سيئاته، ويمحو عنه من خطيَّاتِه والله يسامحه ويعفو عنه ويتقبَّلُ منه، ما كان يكابده من مُناجرة الأعداء(١).

**مواقف من حياته:**

**مائة سيف شهير وشاب طرير :**

لما صافَّ قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه، يبصبص بأصبعه نحو السماء. قال: تلك الأصبع أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير، وهذا فهم راسخ من قتيبة بن مسلم الباهلي لأسباب النصر، ألا وهو التوكل على الله تعالى، وتوثيق الصلة به واستلهام النصر منه، ولقد عبأ جيشه وتأكد من حسن إعداده ولكنه بحاجة إلى التأكد مما هو أهم من الإعداد المادي حيث يتجاوز المسلمون بالسلاح المعنوي حدود التكافؤ المادي في القُوَى بمراحل عديدة ولما كان محمد بن واسع في جيشه سارع إلى السؤال عنه، فلما أخبر بأنه مستغرق في مناجاة الله تعالى ودعائه واطمأن قلبه وارتفع مستوى الأمل بالنصر عنده قال تلك الكلمات الإيمانيه الرفيعة: تلك الإصبع أحب إلى من مائة ألف سيف شهير وشاب

(١) البيان والتبيين ٢ / ١٣٢، المعارف ٤٠٦، الكامل للمبرد ٣ / ١٣، تاريخ الطبري ٦ / ٥٠٦، وما بعدها، معجم المرزباني ٢١٢، تاريخ ابن الأثير ٥ / ١٢، وفيات الأعيان ٤ / ٨٦، تاريخ الإسلام ٤ / ٤٥، العبر ١ / ١١٤، سرح العيون ١٨٦، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٩ و٦٦، النجوم الزاهرة ١ / ٢٣٣، شذرات الذهب ١ / ١١٢، خزانة الأدب ٣ / ٦٥٧، رغبة الآمل ٣ / ٦ و٦ / ١١٨. البداية والنهاية، ٦١٦/١٢، الصلابي، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٣ /١٨٥.

طرير. إن قوى الأرض كلها بيد الله تعالى، وإن النظر إلى القوى المادية من حيث العدد والعُدد والمواقع، إنما هو حسابات البشر والله جل جلاله قادر على تغيير هذه الموازين في لحظة، وإن من أهم استجلاب نصر الله تعالى دعاء الصالحين، فلذلك استبشر قتيبة خيراً حينما علم باستغراق محمد بن واسع في الدعاء، وهذا الفهم الرفيع من قتيبة رحمه الله يبين لنا سبباً مهما من أسباب انتصاراته الباهرة، التي ظلت تتولى أكثر من عشر سنوات فبالرغم من كونه بطلا لا يُشَقُّ له غبار، وقائداً مخططا يضع للأمور أقرانها، وسياسيا محنكا لا يُخدع، فإنه لم يغتر بكل ذلك بل اعتبر ذلك كله من الأمور الثانوية، ونظر قبل ذلك إلى مدى توثيق الحبل الذي يصل جيشه بالله تعالى فلما عرف بأن محمد بن واسع قد وصل ذلك الحبل بالدعاء وبما سبق ذلك من شهرته بالإيمان القوي والعمل الصالح حصل له اليقين وزال عنه سبب من أسباب الخوف المتمثل بضعف الصلة بالله تعالى[1].

**فأشكو ربي:**

عن المدائني قال: دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم في مدرعة صوف فقال: ما يدعوك إلى لبس هذه؟ فسكت فقال له بعض جلسائه: يكلمك الأمير ولا تجيبه! فقال: أكره أن أقول زاهدا فأزكي نفسي أو أقول فقيرا فأشكو ربي[2].

**هذا وأبيك السؤدد والشرف:**

قال قتيبة بن مسلم أرسلني أبي إلى ضرار بن القعقاع بن معبد

(١) سير أعلام النبلاء، ١٢١/٦، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ١٨٦/ ٣.

(٢) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ٣٥٠/١.

بن زرارة فقال: قل له: كان في قومك دم وجراح وحمالات وقد اجتمعوا في المسجد وأحبوا حضورك وأن يحملوك بعض ذلك ويقسم باقي ذلك على من حضر المسجد قال قتيبة فدخلت عليه منزله فأخبرته، فقال: يا جارية غديني فجاءت له بكسيرات خشن وبتميرات وشيء من زيت فجعلتهن في مريس، ثم صببت عليه من الزيت والماء فأكل ثم شرب عليه شربة من ماء ومسح يده. قال قتيبة: فجعل شأنه يصغر في عيني، وقلت: وما عسى أن يكون من هذا، فلما فرغ قال: الحمد لله حنطة الأهواز وتمر وزيت الشام من يقدر يؤدي شكر هذا، ثم أخذ نعليه وارتدى بردائه، ثم انطلق معي إلى المسجد الجامع، فصلى ركعتين، فجعلت أنظر إلى كسوته فإذا هي رثة تساوي دريهمات، فقلت في نفسي: ما يغني هذا لو صلح صلح لنفسه، ثم قام حتى أتى حلقة القوم، فلما أتاهم قام له وجوه أشراف البصرة، فجلس واحتبى وداروا حوله حلقة، فاجتمع الطالبون والمطلوبون، فأكثروا الكلام فقال: إلى ماذا صار أمرهم؟ قالوا: إلى خمس وأربعين دية، فقال لهم: هي علي كلها، ثم قام فالتفت أبي إلى من حضر فقال هذا وأبيك السؤدد والشرف [1].

**طالما لفظها الكرام:**

اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم، فقال له قتيبة: أمسك أيها الرجل، فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام[2].

**حمدنا الله وعذرناك:**

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم، فقال له: أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن تقضيها حمدنا الله وشكرناك، وإن لم

(١) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ٤٠٧/١.
(٢) المصدر السابق، ٤٦٥/١.

تقضها حمدنا الله وعذرناك، فأمر له بحاجته[١].

قال المدائني: أراد الحجاج قتل من بقي في ديوان ابن الأشعث من أصحابه حين ظفر بهم، فقال له قتيبة بن مسلم: أصلح الله الأمير، إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعطه ما يحب من العفو، فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: لله در قتيبة لقد أبلغ في الموعظة، ولقد أحسن الحجاج في القبول[٢].

**اسقِهِ ماءً:**

قالوا: مدَّ الشعبي يدهُ وهو على مائدة قتيبة بن مسلم يلتمس الشرابَ فلم يَدْرِ صاحبُ الشرابِ اللبن أم العسلَ أم بعضَ الأشربة فقال له: أي الأشربةِ أحبُّ إليك قال: أعزُّها مفقوداً وأهونُها موجوداً قال قُتيبة: اسقِهِ ماءً[٣].

**ويحك! بأي وجه تلقاني؟**

هجا نهار بن توسعة قتيبة بن مسلم، وكان ولي خراسان بعد يزيد ابن المهلب، فقال:

**كانت خراسان أرضاً إذ يزيد بها ::: وكل باب من الخيرات مفتوح**
**فبدلت بعده قرداً نطوف به ::: كأنما وجهه بالخل منضوح**

فطلبه فهرب منه، ثم دخل عليه بكتاب أمه، فقال له: ويحك! بأي وجه تلقاني؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك. فقر به ووصله وأحسن إليه[٤].

---

(١) المصدر السابق، ٧٠٢/١.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٤٧/٢.
(٣) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجيل، لبنان/ بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ١٣٧/٥.
(٤) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١٣٦/١.

**بادِل! بهم مَن شئت وجَنِّبني باهلة:**

قال قُتيبة بن مُسلم لهُبيرة بن مَسْروح: أي رجل أنت لو كانت أحوالك من غير قبيلة سَلول! فبادل بهم، قال: أصْلح الله الأمير، بادِل! بهم مَن شئت وجَنِّبني باهلة. وكان قتيبة من باهلة[1].

**في مجلس قتيبة بن مسلم الباهلي:**

ويزعم الرواة: أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله، وإلى آلات لم ير مثلها، فأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليه، ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم، فأمر بدار ففرشت، وفي صحنها قدور ترتقي بالسلالم، فإذا بالحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد أقبل. والناس جلوس على مراتبهم، والحضين شيخ كبير. فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة: ائذن لي في معاتبته. قال: لا ترده فإنه خبيث الجواب، فأبى عبد الله إلا أن يأذن له - وكان عبد الله يضعف، وكان قد تسور حائطاً إلى امرأة قبل ذاك - فأقبل على الحضين بن المنذر فقال: أمن الباب دخلت يا أبا ساسان؟ قال: أجل، أسن عمك عن تسور الحيطان، قال: أرأيت هذه القدور؟ قال: هي أعظم من ألا ترى. قال: ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها! قال: أجل، ولا عيلان، لو كان رآها سمي شعبان، ولم يسم عيلان، قال له عبد الله: يا أبا ساسان، أتعرف الذي يقول:

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل ::: تجر خصاها تبتغي من تحالف

قال:أعرفه، وأعرف الذي يقول:

خيبة من يخيب على غني ::: وباهلة بن يعصر والركاب

يريد يا خيبة من يخيب. قال. أفتعرف الذي يقول:

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٤٨٣/١.

كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع ::: إذا عرقت أفواه بكر بن وائل

قال: نعم. وأعرف الذي يقول:

قوم قتيبة أمهم وأبوهم ::: لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

قال: أما الشعر فأراك ترويه. فهل تقرأ من القرآن شيئاً؟ قال أقرأ منه الكثير الأطيب:{هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا} [الإنسان: ١]، قال: فأغضبه. فقال: والله لقد بلغني أن امرأة الحضين حملت إليه وهي حبلى من غيره. قال: فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى. ثم قال على رسله: وما يكون! تلد غلاماً على فراشي فيقال: فلان ابن الحضين، كما يقال: عبد الله بن مسلم. فأقبل قتيبة على عبد الله فقال: لا يبعد الله غيرك[1].

**هكذا يفعل بالحرة:**

قال: خرج رجل مع قتيبة بن مسلم إلى خراسان، وخلف امرأة يقال لها: هند من أجمل نساء زمانها، فلبث هناك سنين، فاشترى جارية اسمها جمانة، وكان له فرس يسميه الورد، فوقعت الجارية منه موقعاً، فأنشأ يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعلت هند ::: إذا بقيت عندي الجمانة الورد

شديد مناط القصرين إذا جرى ::: وبيضاء مثل الرئم زينها العقد

فهذا لأيام الهياج وهذه ::: لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فبلغ ذلك هنداً فكتبت إليه:

ألا أقره مني السلام وقل له ::: عنينا بفتيان غطارفةٍ مرد

فهذا أمير المؤمنين أميرهم ::: سبانا وأغناكم أراذلة الجند

إذا شاء منهم ناشئٌ مد كفه ::: إلى كبد ملساء أو كفلٍ نهد

(١) الكامل في اللغة و الأدب،٣ /١٢.

فلما قرأ كتابها، أتى به إلى قتيبة، فأعطاه إياه، فقال له: أبعدك الله، هكذا يفعل بالحرة وأذن له في الانصراف[1].

## أفٍ لك إن كنت كما تقول:

تزوج فضالة بن عبد الله الغنوي امرأة بخراسان فأبغضته فنافرته إلى قتيبة بن مسلم قال له: هل بينك وبينها قرابة؟ قال: لا. قال: ففيم تحتمل هذا لها وقد جعل الله لك إلى الراحة منها سبيلاً؟ قال: إني أحبها ولقد كنت أهزأ بالرجل تبغضه المرأة وهو يحبها، فابتليت فقال قتيبة: فلا تحبن من لا يحبك، فهي والله تنظر إليك بعين فارك، ثم قال لها: مالك ويحك ولزوجك قالت: أبغضته لخصال أذكرها: هو والله قليل الغيرة، سريع الطيرة، كثير العتاب، شديد الحساب قد أقبل، بخره وأدبر ذفره، واسترخى ذكره وطمحت عيناه، واضطربت رجلاه، يفيق سريعاً، وينطق رجيعاً وهو أيضاً يأكل هرساً، ويمشي خلساً ويصبح رجساً لا يغتسل من جنابة ولا يأمن من شره أصحابه، إن جاع جزع وإن شبع خشع، فقال له قتيبة: أفٍ لك أن كنت كما تقول، طلقها قبح الله رأيك فطلقها " [2]

## أنت عندي مثل سالم:

ومن الكنايات، ما حكى أن قتيبة بن مسلم دخل على الحجاج وبين يديه كتاب قد ورد إليه من عبد الملك، وهو يقرؤه، ولا يعلم معناه، وهو مفكر، فقال: ما الذى أحزن الامير؟ قال: كتاب ورد من أمير المؤمنين، لا أعلم معناه؟ فقال: إن رأى الامير إعلامى به! فناوله إياه، وفيه: (أما بعد، فإنك سالم، والسلام).

فقال قتيبة: مالى إن استخرجت لك ما أراد به؟ قال: ولاية

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري،المحاسن والأضداد، ١٥٤/١.
(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٤٣.

خراسان، قال: إنه ما يسرك أيها الامير، ويقر عينك، إنما أراد قول الشاعر:

يديرونني عن سالم وأديرهم ::: وجلدة بين العين والأنف سالم

أي أنت عندي مثل سالم عند هذا الشاعر، فولاه خراسان [١].

## أماني قوم بحسب أحوالهم:

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر: ما تتمنى؟ فقال: لواء منشور وجلوس على السرير وسلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبد الله بن الاهتم ذلك فقال: رفع الأولياء وقمع الأعداء وطول البقاء مع القدرة والنماء. وقيل ذلك للفضل بن سهل فقال: توقيع نافذ وأمر جائر. وقيل لحكيم تمن فقال: محادثة الأخوان وكفافاً من عيش والانتقال من ظل إلى ظل. وقيل ذلك لمطرف فقال: مركب وطي ومطعم شهي وملبس دفي. وقيل لآخر فقال: شواء مستنشل وغناء مسترسل ونكاح مستعجل. وقال بعضهم: العي كله في صحة البدن وكثرة المال وخمول الذكر. وقيل لحكيم فقال: هوى وافق حقاً. وقيل لرجل فقال: أن تعطي جوارحك لذاتها. وقيل لأعرابي فقال: خباء في أرض خلاء وكلب إذا أصابه المطر زاحمني فيه. وقيل لابن سنان فقال: ليل طويل الطرفين أقرن بينهما بذكر الله تعالى. وقيل لمأبون فقال: لذة الابنة وحك الجرب فمن حرمهما فقد حرم لذات الدنيا! نعوذ بالله من بعض الأماني[٢].

## مدح اللحية والاعتذار لها:

دخل رجل على قتيبة بن مسلم، وكان عظيم اللحية وقتيبة خفيف

(١) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، المحقق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٣٦/٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢٠٦/١.

اللحية فقال: لقد كبرت لحيتك، فقال: والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً، فقال قتيبة: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث[1].

**باب من أبواب الجنة:**

قيل: موت الأبوين سد بابين من أبواب الجنة. قال قتيبة بن مسلم: لما ماتت أمه لأبي مجلز: لقد سد دوني باب من أبواب الجنة. قال: نعم وباب من أبواب النار لأنك ما كنت تأمن أن تعقها[2].

**ويَل أمِّ قتيبة:**

كتب الحجاجُ إلى قتيبة بن مُسلم: أني قد طلقت أم خالد بنت قطن الهلالية عن غير ريبة، ولا سوءٍ، فتزوَّجْها. فكتب إليه قتيبة: إنه ليس كلُّ مَطالع الأمير أحِبُّ أن أطلع. فقال الحجاج: ويَل أمِّ قتيبة. وأعجبه ذلك [3].

**ذلك الظن بك:**

قال أخبرنا عبد القاهر بن السرى قال: أصاب قتيبة بن مسلم قميصاً منسوجاً باللؤلؤ فبعث به إلى الحجاج بن يوسف فبعث به الحجاج إلى الوليد ثم تتبعته نفس الحجاج فكتب إلى قتيبة أما بعد:فإنا كنا أنفذنا ما أنفذته إلينا إلى الوليد وما أحسبك إلا قد احتسبت مثله قبلك لنسائك وبناتك، فآثرنا بما قبلك منه فكتب إليه: لأن آكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله أحب إلي من أن أدخر عنك

(١) المصدر السابق، ٤٦١/١.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء،٦٣/٢.
(٣) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٥٨/٥.

علقاً.فكتب إليه ذلك الظن بك[١].

**قبَّحك الله من مُشير:**

قام بعض الشعراء إلى قُتيبة بن مسلم الباهليّ أول ما وافى خراسان والياً عليها فأنشده:

**شُدَّ العِقابَ على البريء وما جنى ::: حتَّى يكونَ لغيره تنكيلا**
**والجهلُ في بعض الأمور وإنْ علا ::: مُستخرجٌ للجاهلين عُقولا**

فقال له قتيبة: قبَّحك الله من مُشير، لا أقمتَ معي في بلدة، ونفاه إلى خراسان[٢].

**بلغني أنك تشرب النبيذ:**

قال قتيبة بن مُسلم لقاضي مَرو: بلغني أنك تشرب النبيذ، فقال: نعم أصلحك الله أَشرب منه ما يبل العقل ويُطيب النفس ويغني عن الماء ويهضم الطعام، قال: فما أبقيت منه، قال: أبقيت أخبثه وأرداه؛ الاتكاء على الشمال، ومنادمة الأوغاد والاختلاف إلى المَبال[٣].

**من كلامه:**

- الخطأ مع الجماعة أحب إلي من الصواب مع الفرقة وإن كانت الجماعة لا تخطئ والفرقة لا تصيب[٤].

- وكان قتيبة بن مسلم يقول لأصحابه: إذ غزوتم فأطيلوا الأظفار وقصروا الشعور، والحظوا الناس شزراً، وكلموهم رمزاً، واطعنوهم وخزاً[٥].

---

(١) الزجاجي، الأمالي، ٢٦/١.
(٢) الخالديان، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، ١٢٢/١.
(٣) الرقيق القيرواني، قطب السرور في اوصاف الخمور، ٥٠/١.
(٤) الآداب الشرعية، ٤٠٥/١.
(٥) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٣٨/١.

- لا تطلبن الحوائج من كذوب،فإنه يقربها وإن كانت بعيدة، ويبعدها إن كانت قريبة؛ ولا إلى رجل قد جعل المسألة مأكلة، فإنه يقدم حاجته قبلها، ويجعل حاجتك وقاية لها؛ ولا إلى أحمق فإنه يريد نفعك فيضرك [١].

- ملاك الأمر في السلطان: الشِّدة على المذنب، واللِّين للمحسن، وصدق القول [٢].

- من أعجب برأيه، لم يشاور كفيا، ولم يوات نصيحاً[٣].

- الخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة، وإن كانت الجماعة لا تخطئ، والفرقة لا تصيب [٤].

- اعتذر إلى قتيبة بن مسلم رجل فقبل منه،ثم قال:لا يدعونك أمرٌ قد تخلصت منه إلى الدخول فيما لعّلك لا تتخلص منه[٥].

- قال قتيبة بن مسلم لبنيه: لا تمازحوا فيستخف بكم، ولا تدخلوا الأسواق فترقَّ أخلاقكم، ولا تبخلوا فيزدريكم أكفاؤكم[٦].

**خطب قتيبة بن مسلم الباهلى**

- خطبته يحث على الجهاد وقد تهيأ لغزو طخارستان

قدم قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان واليا عليها من قبل الحجاج سنة ٨٦، فلما تهيأ لغزو أخرون و شومان وهما من بلاد طخارستان خطب الناس وحثهم على الجهاد فقال: إن الله أحلكم هذا المحل ليعز

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري،المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص٣٠.
(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص٧١.
(٣) المصدر السابق، ص٩٩.
(٤) المصدر السابق، ص٩٩.
(٥) المصدر السابق، ص١٠٦.
(٦) المصدر السابق، ص١٢٥.

دينه، ويذب بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضة والعدو وقما ووعد نبيه النصر بحديث صادق، وكتاب ناطق فقال:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾} [التوبة: ٣٣]، ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال:{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ } [التوبة: ١٢٠ - ١٢١]، ثم أخبر عمن قتل في سبيله أنه حي مرزوق فقال:{وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩]، فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصي أثر وأمضي ألم وإياكم والهوينى.

- خطبته وقد تهيأ لغزو بلاد السغد

ولما صالح قتيبة أهل خوارزم وسار إلى السغد سنة ٩٣هـ خطب الناس فقال: إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن وهذه السغد شاغرة برجلها قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ومنعونا ما كنا صالحنا عليه طرخون، وصنعوا به ما بلغكم وقال الله تعالى:{فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ} [الفتح: ١٠]، فسيروا على بركة الله فإني أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنضير وقريظة وقال الله تعالى:{وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا} [الفتح: ٢١] (١).

- خطبته وقد سارت إليه جيوش الشاش وفرغانة:

(١) جمهرة خطب العرب، ٢/ ٣٠٥.

وأتي قتيبة السغد فحصرها شهرا وخاف أهلها طول الحصار فكتبوا إلى ملك الشاش وفرغانة: إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب فإن وصل إلينا كنتم أضعف وأذل فمهما كان عندكم من قوة فابذلوها، فجمعوا جموعهم، وولوا عليهم ابنا لخاقان، وساروا وقد أجمعوا أن يبيتوا عسكر قتيبة ونمي ذلك إليه فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس وخطبهم فقال: إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم، وتأييده إياكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم كل ذلك يفلجكم الله عليهم فأجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم واختاروا دهاقينهم وملوكهم وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم وقد فضلكم الله بدينه فأبلوا لله بلاء حسنا تستوجبون به الثواب مع الذب عن أحسابكم[1].

- خطبه حين دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك:

وقام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ودعا الناس إلى خلعه، فقال للناس: إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضممت الأخ إلى أخيه والولد إلى أبيه، وقسمت بينكم فيئكم وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكدرة ولا مؤخرة وقد جربتم الولاة قبلي أتاكم أمية، فكتب إلى أمير المؤمنين: إن خراج خراسان لا يقوم بمطبخي ثم جاءكم أبو سعيد فدوم بكم ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية لم يجب فيئا ولم ينكأ عدوا ثم جاءكم بنوه بعده يزيد فحل تباري إليه النساء وإنما خليفتكم يزيد بن ثروان هبنقة القيسى فلم يجبه أحد فغضب فقال: لا أعز الله من نصرتم، والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنها يأهل السافلة، ولا أقول أهل العالية يا أوباش الصدقة جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب، يا معشر بكر بن وائل يأهل النفخ والكذب والبخل بأي يوميكم تفخرون، بيوم

(١) جمهرة خطب العرب، ٢ /٣٠٦.

حربكم أم بيوم سلمكم، فوالله لأنا أعز منكم يا أصحاب مسيلمة يا بني نميم، ولا أقول تميم بأهل الخور والقصف والغدر كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان يا أصحاب سجاح.

يا معشر عبد القيس، القساة تبدلتم بأبر النخل أعنة الخيل يا معشر الأزد تبدلتم بقلوس السفن أعنة الخيل والحصن إن هذا لبدعة في الإسلام، والأعراب وما الأعراب لعنة الله على الأعراب يا كناسة المصرين جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم ومنابت القلقل تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان حتى إذا جمعتكم كما يجمع قزع الخريف قلتم كيت وكيت أما والله إني لابن أبيه وأخو أخيه أما والله لأعصبنكم عصب السلمة إن حول الصليان الزمزمة يأهل خراسان هل تدرون من وليكم وليكم يزيد بن ثروان كأني بأمير مزجاء وحكم قد جاءكم فغلبكم على فيئكم وأطلالكم، إن هاهنا نارا ارموها أرم معكم ارموا غرضكم الأقصى، قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات إن الشأم أب مكفور حتى متى ينبطح أهل الشأم بأفنيتكم وظلال دياركم يأهل خراسان انسبوني تجدوني عراقي الأم عراقي الأب عراقي المولد عراقي الهوى والرأي والدين، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن والعافية قد فتح الله لكم البلاد وآمن سبلكم فالظعينة تخرج من مرو إلى بلخ بغير جوار، فاحمدوا الله على النعمة وسلوه الشكر والمزيد ثم نزل[1].

وورد كلام قتيبة في هذا الصدد في العقد الفريد والبيان والتبيين في ثلاث خطب هذا نصها:

من عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تفرد بالنظر لم يكمل له الصواب ومن تبجح

(١) جمهرة خطب العرب، ٢/ ٣٠٦ - ٣٠٩.

بالانفراد وفخر بالاستبداد كان من الصواب بعيدا ومن الخذلان قريبا - ومن تكبر على عدوه حقره وإذا حقره تهاون بأمره ومن تهاون بخصمه ووثق بفضل قوته قل احتراسه ومن قل احتراسه، كثر عثاره، وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب إلا كان منكوبا، فلا والله حتى يكون عدوه عنده وخصمه فيما تغلب عليه أسمع من فرس، وأبصر من عقاب وأهدي من قطاة، وأحذر من عقعق، وأشد إقداما من الأسد وأوثب من الفهد، وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب، وأغدر من ذئب، وأسخى من لافظة، وأشح من صبي، وأجمع من ذرة وأحرس من كلب وأصبر من ضب، فإن النفس تسمح من العناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف، وتطلب على قدر الطمع وتطمع على قدر السبب(١).

- ملاك السلطان الشدة على المريب، والإغضاء عن المحسن، ولين القول لأهل الفضل (٢).

- إذا تخالجتك الأمور فاستقل بأعظمها خطراً، فإن لم يستبن فأرجاها دركاً، فإن اشتبهت عليك فأحراها أن لا يكون لها مرجوع عليك(٣).

- خير الخير وأحصنه خيرٌ عيش فيه. وكلُّ خيرٍ كان يرضخ بذلاً كان من المتالف ممنوعاً، ومن الغير آمناً.

وحسَّاد النعمة إن أعطوا منها وتبحبحوا فيها، ازدادوا عليها غيظاً وبها إغراء.

- العداوة تُخلِقُ وتُمَلُّ، والحسد غضٌّ جديد، حرم أو أعطي، لا

(١) جمهرة خطب العرب، ٢ /٣١٣.
(٢) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص١٣.
(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٧٥/١.

يبيد. فكلُّ حاسد عدو بحاسد. وإنما حمل اليهود على الكفر بمحمد ﷺ - وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أنه نبيٌّ صادق ورسول محق، يقرءون بعثه في توراتهم، ويتدارسونه في بيت مدْراسهم - الحسد، وحجز بين علمائهم والإيمان به، ثم نتج لهم الحسد عداوته[1].

* * *

(١) الجاحظ الرسائل، ٧٥/١.



obeikandl.com